الرسالة

(عبرانيين ٩: ١–٧)

يا إخوةُ إنَّ العهدَ الأولَ كانت لهُ أيضًا فرائضُ العبادةِ والقدسُ العالميُّ* لأنَّهُ نُصِبَ المَسكِنُ الأوَّلُ الذي يُقالُ لهُ القُدُسُ وكانت فيهِ المنارَةُ والمائدَةُ وخبزُ التقدمةِ* وكانَ وراءَ الحجابِ الثاني المسكِنُ الذي يُقالُ لهُ قُدسُ الأقداس* وفيه مستوقَدُ البَخورِ من الذهبِ وتابوتُ العهدِ المغشَّى بالذهبِ من كلِّ جهةٍ فيه قِسطُ المنِّ منَ الذهبِ وعصا هرونَ التي أفرخَتْ ولَوْحا العهد* ومن فوقِهِ كارُوبا المجدِ المظلِّلانِ الغِطاء. وليسَ هُنا مقامُ الكلامِ في ذلكَ تفصيلاً* وحيث كان ذلك مُهيَّأً هكذا فالكهنةُ يدخلون إلى المسكنِ الأولِ كلَّ حينٍ فيُتمُّونَ الخِدمةَ* وأمَّا الثاني فإنمَّا يدخلُهُ رئيسُ الكهنةِ وحدَهُ مرَّةً في السنةِ ليسَ بلا دمٍ يقرِّبهُ عن نفسه وعن جهالاتِ الشعب.

الكنيسة والدولة

في ٤ أيلول تحيي الكنيسة المقدسة تذكار الشهيد في الكهنة بابيلا (منير) الإنطاكي الذي صار أسقفاً على انطاكية سنة ٢٣٧ وقضى فيها شهيداً للمسيح سنة ٢٥٠، وهو الأسقف الثاني عشر على المدينة العظمى بعد القديس بطرس الرسول.

لا تحفظ لنا الكتب التاريخية عن القديس بابيلا الكثير. بيد أن خلاصة المتوفّر تُجمع على أنه واحد من أكمل رجال الكهنوت تقوى وفضيلة، وأشدهم بأساً في القيام بواجبه الرسولي الرعائي المقدس. ففي كتابه «تاريخ الكنيسة» يفيد المؤرخ أفسافيوس القيصري أن الأمبراطور الروماني فيليبس العربي الأصل (٢٤٤–٢٤٩)، رغم كونه مسيحياً لم يتورع عن دس المكائد واقتراف الاغتيالات والجرائم المتنوعة لاعتلاء العرش ثم الحفاظ عليه. هذا الامبراطور كان ماراً بانطاكية وكانت ليلة الفصح آنذاك، فرغب في الدخول إلى الكنيسة ومشاركة المؤمنين صلواتهم. عرف الأسقف القديس بقدومه فخرج إليه ومنعه من اجتياز عتبة الكنيسة ما لم يعترف بخطاياه ويصطف مع التائبين مكفّراً عنها (الاعتراف العلني كان بعدُ رائجاً في تلك الأيام). فأذعن الأمبراطور فوراً لأمر رجل الله وخضع ملك الأرض لخادم ملك السماء والأرض ورسوله. القديس يوحنا الذهبي الفم ذكر القديس بابيلا بإجلال وإكبار عظيمين، قائلاً عنه إنه «بموقفه البطولي في وجه فيليبس لقّن الملوك درساً أن لا يتجرأوا على بسط سلطانهم إلى أبعد من الحدود المسموح بها من الله، كما أعطى رجال الكنيسة مثلاً كيف ينبغي أن يستعملوا السلطان المعطى لهم من الله».

العدد ٢٠٠٣/٣٥

الأحد ٣١ آب

تذكار وضع زنار والدة الإله الفائقة القداسة المكرَّم

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الحادي عشر

تذكار القديس بابيلا يقودنا إلى الحديث، وإن بإيجاز، عن مفهوم الكنيسة الأرثوذكسية للعلاقة بين الكنيسة والسلطة الزمنية والقواعد التي تبني عليها الكنيسة مواقفها من سلطات هذا العالم. إن الموقف الذي تتبناه الكنيسة كمبدأ عام لعلاقتها بالدولة هو مبدأ التعاضد (أي تضافر الجهود وتآزر الطاقات لخدمة الإنسان) الذي يتميز تميزاً قاطعاً عن ذوبان الكنيسة في الدولة أو العكس، دون المناداة بانفصال قاطع بينهما. هذا المبدأ في فكر الكنيسة يستوجب علاقة تعاونية بين الدولة والكنيسة، تراعي حفظ

الحدود بينهما. لا شك أن هذا المبدأ هو مثال يصعب الوصول إلى كماله في معظم الأحيان. بيد أن الكنيسة اختبرت،في بعض محطات تاريخها، حالات كان فيها التعاضد بين الكنيسة والدولة على شبه المرجو. ولنا على هذا مثال هو أنموذج العلاقة زمان الأمبراطورية البيزنطية التي دامت قرابة الألف عام (٣٢٤-١٤٥٣).

يبقى أن موقف الكنيسة يحكمه واقعان. الواقع الأول هو التمسك بمفهومها لملكوت الله. ففي عمق وجدان الكنيسة صلاة ورجاء دائمين أن تبقى العلاقات بين البشر، مهما تنوعت واختلفت، مستوحية ناموس ملكوت الله. الكنيسة تتمسك بهذا المنظور «الملكوتي» إذا صح التعبير، لأنها تؤمن وتعمل من أجل أن يتحقق ملكوت الله على الأرض. «ليأتِ ملكوتك ... كما في السماء كذلك على الأرض»، تقول الصلاة الربانية. ما تسعى إليه الكنيسة هنا ليس إخضاع الدولة لسلطانها بل حث السلطة الزمنية على العمل وفقاً للشرع الإلهي القاضي بالعدل والمساواة وحسن الرعاية والاحتضان. الدولة في فهم الكنيسة ليست خاضعة لها، بل ينبغي أن تكون، بالفعل والممارسة، خاضعة لله.

أما الواقع الثاني فهو التأقلم مع الأوضاع السياسية أو السياسية-الإجتماعية التي تفرضها الأزمنة أو الأماكن. فالكنيسة في العالم موجودة ضمن بيئات وأنظمة سياسية متنوعة.كنيسة القسطنطينية تعيش في بلد علماني السياسة وغالبية سكانه مسلمة.أم الكنائس أورشليم يطوّقها نظام ثيوقراطي يهودي، وكنيسة موسكو ذاقت أمرّ الإضطهادات والقمع، أو التغاضي المزيّف في أحسن الحالات. من جهة أخرى، وبالرغم من مناخ الحرية الدينية الذي تنعم به في بلدان وجودها، تعاني الكنائس الأرثوذكسية التي أسسها مهاجرون في الشتات تهميشاً مؤلماً بسبب كونها أقليات في بلدان غربية الطابع دينياً ومجتمعياً مثل أوروبا الغربية وأميركا وأوستراليا وغيرها.

عملياً، يتفسّر موقف الكنيسة من الدولة بجملة نقاط. منذ نشأتها وطيلة تاريخها ما انفكت الكنيسة تشجع المواطنية الصالحة بكل معانيها، بصرف النظر عن نوعية النظام القائم. الكنيسة تعلّم أبناءها أن يطيعوا القوانين العادلة وحتى تلك غير العادلة على رجاء التقديس. الكنيسة تحث أبناءها على التمسك بأوطانهم وخدمتها وخدمة مواطنيهم بكل ما أوتوا من قدرة، إحقاقاً للخير العام.

والكنيسة تؤمن أن واحداً من أهم حقوقها على السلطة الزمنية هو حرية العبادة والعمل ككنيسة،فيكون بالتالي من أوائل اهتماماتها العمل على تحقيق هذه الحرية لأبنائها، وتقليص أو إلغاء ما كان في نظرها تدخلاً ضاراً للدولة في شؤونها أو ضغوطاً قد تؤدي بأبنائها إلى الابتعاد عن الله.

في السياسات الداخلية تعتمد الكنيسة مبدأ الحياد التام والبقاء على مسافة واحدة من الجميع مهما كان النظام القائم. الكنيسة تصلّي من أجل الحكام والعاملين في الشأن العام، طالبة أن ينيرهم الله إلى خير نواميسه. ففي النزاعات الانتخابية مثلاً لا تقف الكنيسة موقفاً مناصراً أو مناهضاً لأي كان. وإن كانت تواجه الحاكم جهاراً إن هو ضل عن الطريق القويم فهذا من صلب رسالتها الشاهدة للحق.

باستثناء حالات محددة ونادرة للغاية،لا تسمح الكنيسة لإكليريكييها أو رعاتها بممارسة العمل السياسي.

الإنجيل

(متى ١٨: ٢٣-٣٤)

قال الربُّ هذا المثَل. يُشبه ملكوت السموات إنسانًا مَلِكًا أراد أن يحاسِبَ عبيدَهُ* فلمَّا بدأ بالمحاسبة أُحضِر إليهِ واحدٌ عليهِ عشْرَةُ آلافِ وزنة* وإذْ لم يكنْ لهُ ما يوفي أَمَرَ سيّدُهُ أن يُباعَ هو وامرأتُهُ وأولادُهُ وكلُّ ما لهُ ويُوفَى عنهُ* فخرَّ ذلكَ العبدُ ساجدًا لهُ قائلاً تمهَّل عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فرَقَّ سيّدُ ذلك العبدِ وأطْلقَهُ وترك لهُ الدَّين* وبعدما خرج ذلك العبدُ وجَدَ عبدًا من رُفقائِه مديونًا لهُ بمئَةِ دينارٍ فأمْسَكَهُ وأخذَ يَخْنُقهُ قائلاً أوفِني ما لي عليك فخرَّ ذلك العبدُ على قدَميهِ وطلبَ إليهِ قائلاً تمهَّلْ عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فأبى ومضى وطرحهُ في السجنِ حتى يوفيَ الدَّين* فلمَّا رأى رُفقاؤهُ ما كانَ حَزِنوا جدًّا وجاءوا فأعلَموا سيّدهم بكلِ ما كان* حينئذٍ دعاهُ سيّدُهُ وقال لهُ أيُّها العبدُ الشرّيرُ كلُّ ما كان عليك تركتُهُ لك لأنَّك طلبْتَ إليَّ* أفما كان ينبغي لك أنْ ترحمَ أنتَ أيضًا رفيقكَ كما رحِمتُكَ أنا* وغضِبَ سيّدُهُ ودفعهُ إلى المعذِّبينَ حتى يوفيَ جميعَ ما لهُ عليهِ* فهكذا أبي السماويُّ يصنعُ بكم إنْ لم تَتْرُكوا من قلوبِكم كلُّ واحدٍ لأخيهِ زلاَّتِهِ.

تأمل

يجب عليك أن تراقب أعمالك بصرامة طبقاً للتعاليم ما دمت تدين أعمال قريبك. أما إن كنت تعدّ لنفسك العقاب فلا تتذمّر من وطأته الثقيلة! يا مرائي اخرج أولاً الخشبة من عينيك. بهذه العبارة يظهر المخلّص غضبه من أولئك الذين يدينون القريب. وعلى هذه الصورة يقول للعبد الذي يطالب بعنف رفيقه العبد الآخر بالمئة دينار التي له عليه! أيها العبد الشرير اني عفوت لك عن ذلك الدَين كله لأنك التمست مني. أفلم يكن ينبغي لك أن ترحم رفيقك في الخدمة أيضاً كما رحمتك أنا؟ (متى ١٨:٣٢ و٣٣). فالحكم القاسي على القريب لا يظهر حب الخير له بل البغضاء للبشر، لأن من يدين غيره يتظاهر بالمحبة له. وهو في الواقع مفعم شراً، ويعرّض القريب إلى الملامة والإهانة سدى ويختلس محل المعلّم ولا يستحق أن يكون تلميذاً!

فإن كنت صارماً جداً بمعاملة الغير، وترى الهفوات الصغيرة جداً، فلماذا تتراخى مع نفسك ولا ترى آثامك الكبيرة؟ اخرج أولاً الخشبة من عينك! ان السيد لا يمنع دينونة الآخرين تماماً، ولكنه يأمر أولاً بإخراج الخشبة من عين النفس وحينئذٍ نلتفت إلى إصلاح أخطاء الآخرين. كلٌّ أعْرَفُ بنفسه من غيره.

غير أنها تشجع بقوة إنخراط أبنائها المؤمنين في الممارسة السياسية والشأن العام، راجية أن يتمكن هؤلاء من مد قيم الإنجيل، التي تسيّر حياتهم، إلى البيئة السياسية ونظام الحكم القائم. بهذا يشارك أبناء الكنيسة المؤمنون في إرساء مثال ملكوت الله في العلاقة بين السلطة الزمنية والكنيسة.

إيضاحاً لطبيعة الاستثناء الذي أشرنا إليه آنفاً، نشير إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية تعترف في تقليدها بوجه وحيد لقبولها استلام مقاليد الحكم، وهو ما يسمى بالـ«إثنارخية» (Ethnarchie) أي أن يتسلّم رأس الكنيسة في بلد معين مهام القيادة السياسية. هذه الحالة النادرة جداً تحدث عندما يعجز العلمانيون عن ممارسة السلطة السياسية لأسباب قاهرة، فتضطر الكنيسة إلى ملء الفراغ قابلة أعباء القيادة السياسية بعد إجماع عام من الشعب. ينبغي التأكيد على أن هذه الممارسة لا تكون إلا استثنائية ومؤقتة، وغايتها الوحيدة إرساء النظام وتوفير الأجواء الملائمة لتسليم الحكم للقادرين عليه.في تاريخنا الحديث مثلان على الـ«إثنارخية»: الأول عندما استلم رئيس أساقفة اليونان دمسكينوس رئاسة الدولة بعد الفوضى التي خلّفها انسحاب الألمان عند نهاية الحرب العالمية الثانية. والثاني اعتلاء مكاريوس رئيس أساقفة قبرص سدة رئاسة الجمهورية إثر فراغ الحكم وفقدان النظام اللذين عرفتهما الجزيرة.

طاعة الله

«فليَكُنْ فيكم هذا الفِكرُ الذي في المسيحِ يسوعَ أيضاً... (الذي) إذ وُجد في الهيئةِ كإنسانٍ وضعَ نفسهُ وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذَلِكَ رَفَعَهُ اللهُ أيضاً وأعطاهُ اسماً فوقَ كلِّ اسمٍ لكي تجثو باسمِ يسوعَ كلُّ ركبةٍ» (فيلبي ٢: ٥–١٠).

يقول أحد الآباء القديسين: «ان الطاعة فخر الراهب، فمن اقتناها يسمع الله صوته، ويقف أمام المصلوب رب المجد بدالة، لأن إلهنا من أجل طاعته لأبيه صُلب عنا». ونظراً لأهميَّة الطاعة في الحياة الروحية، ينذر الراهب عند سيامته الطاعة إلى جانب العفة والفقر. والطاعة هي لله أولاً. ومن الطاعة لله النابعة من محبَّتنا له تنبع كل طاعة أخرى، كما ان كل محبة تنبع من محبة الرب يسوع لنا وهو على الصليب.

من يقرأ الكتاب المقدس لا بد أن يلاحظ الطاعة الإيمانية التي كانت تميِّز علاقة بعض شخصيات الكتاب بالله، حتى ان كُتَّابه يرسمون صورة مشرقة للطاعة وللدور الأساسي الذي تلعبه في إقامة علاقة جيدة وصحيحة مع الله. قصة نوح بسيطة ولكنها قوية ومعبِّرة في آن (تك ٦: ٩). بعدما «فسدتِ الأرضُ أمامَ اللهِ» أراد الله أن يمحو عن وجه الأرض كل ما خلقه من إنسان وحيوان «لأني حزنت اني عملتهم»، فقال لنوح أن يبني سفينة ويدخل إليها مع أبنائه وبناته مع إثنين إثنين من طيور وحيوانات الأرض. «ففعلَ نوحٌ حَسَبَ كلِّ ما أمَرَهُ بهِ اللهُ. هكذا فعلَ» (تك ٦: ٢٢). نتيجة طاعة نوح لله كانت خلاص نوح مع عائلته من الطوفان، ومباركة الله له ووعد بأن لا يكون طوفان جديد ولا يهلك الله سكان الأرض وكل ما يعيش على وجه الأرض (تك٩:١ و١٢).

قصة ابراهيم أبي الآباء من بداياتها إلى نهايتها هي قصة الطاعة لله بامتياز. في البدء دعا الله ابراهيم إلى الخروج من أرضه ومن بيت أبيه «إلى الأرض التي أُريكَ. فأجعلكَ أمَّة عظيمةً وأُباركَكَ وأُعظِّمَ

اسمَكَ، وتكونُ بركةً.... فذهب أبرامُ كما قالَ لهُ الرب» (تك ١٢:١-٤). استجابة ابراهيم لدعوة الله سمحت لله أن يمضي بمخططه الخلاصي لجنس البشر عن طريق مباركة ابراهيم ونسله. استجاب ابراهيم لدعوة الله له أن يقدِّم ابنه الوحيد اسحق ذبيحة، رغم ان اسحق هو الوحيد الذي سيؤمن النسل الذي باركه الله. نتيجة طاعة ابراهيم كانت ان الله جدَّد عهده معه وأكده بقول الملاك: «وقالَ بذاتي أقسَمتُ يقولُ الرَّبُّ.إني من أجل أنَّكَ فعلتَ هذا الأمرَ ولم تمسِك ابنَكَ وحيدَكَ، أباركُكَ مباركةً وأكثِّرُ نسلَكَ تكثيراً كنجوم السماءِ وكالرملِ الذي على شاطئِ البحرِ» (تك ٢٢:١٦-١٧). نتيجة الطاعة هي البركة ولا تساهل في الطاعة للرب. بعدما مسح صموئيل شاول ملكاً على إسرائيل،مضى شاول لمحاربة عماليق (١صمو ١٥) بأمر الله الذي أمره أيضاً أن لا يعفو عن إنسان وحيوان ولا يأخذ لنفسه شيئاً من أرض عماليق (١صمو١٥:٣).لكن شاول خالف الوصية وعاد ومعه الغنم والبقر والخراف «لأجلِ الذَّبحِ للرَّبِّ» (١صمو ١٥:٢١)، مما جلب غضب الله عليه: «فقالَ صموئيلُ هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بالمحرقاتِ والذبائحِ كما باستماع صوتِ الرَّبِّ. هوذا الاستماعُ أفضَلُ من الذبيحةِ والإصغاءُ أفضلُ من شحمِ الكباش.لأنَّ التَّمرُّدَ كخطيئةِ العِرافةِ والعِنادُ كالوثَنِ والترافيمِ. لأنَّكَ رفضتَ كلامَ الرَّبِّ رفضَكَ من المُلْكِ» (١صمو ١٥: ٢٢-٢٣). إذاً الطاعة للرب أفضل من الذبائح والمحرقات، ولا شيء أفضل من الاستسلام لمشيئة الله.

صحيح ان الطاعة في الكتاب المقدس هي وسيلة لنيل بركة الله، إلا ان الطاعة يجب أن تكون مقرونة بمحبة الله. بعدما أعطى الله موسى الوصايا العشر (تث ٥) وأمر الشعب بالعمل بها،قال موسى للشعب «وهذه هي الوصايا والفرائِضُ التي أمَرَ الربُّ إلهكم أن أعلِّمكم لتعملوها في الأرض... واحترِز لتعمل لكي يكونَ لك خير وتكثر جداً... فتحبُّ الرَّبَّ إلهَكَ من كلِّ قلبك ومن كلِّ نفسكَ ومن كل قوَّتِكَ. لتكن هذه الكلماتُ التي أنا أوصيكَ بها اليومَ على قلبكَ وقُصَّها على أولادك» (تث ٦:١-٧). إذاً محبَّة الله هي قلب الطاعة لله.

الرب يسوع قال: «طعامي أن أعملَ مشيئةَ الذي أرسلني وأتمِّم عمله» (يو ٤:٣٤).طاعته ومحبته للآب أوصلتاه إلى الصليب. قبل الصلب صلّى إلى الآب ثلاثاً: «يا أبتاهُ إن أمكَنَ فلتَعبُرْ عني هذه الكأس. ولكن ليسَ كما أُريدُ أنا بل كما تريدُ أنتَ» (متى ٢٦:٣٩). والرب يسوع علّم تلاميذه قائلاً: «إن كنتم تحبّونني فاحفظوا وصاياي... الذي عندَهُ وصاياي ويحفظُها فهو الذي يُحبُّني. والذي يحبُّني يحبُّه أبي وأنا أحبُّه وأُظهِرُ له ذاتي... إن أحبَّني أحدٌ يحفظ كلامي ويحبُّه أبي وإليهِ نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ١٥-٢٣).

الطاعة والمحبة مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً. الطاعة الخالية من المحبَّة لا توصل إلى مكان بل تصبح مجرَّد التزام متحجِّر بالقانون. الطاعة المجبولة بالمحبة توصل إلى الملكوت، ويحصل صاحبها على البركات. نتيجة الطاعة لله مضمونة، الرب أطاع حتى الموت على الصليب فرفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم وصارت تسجد له كل قبائل الأرض. هكذا كل من يطيع الله عبر العمل بوصاياه يصل إلى الملكوت ويجلس عن يمين الآب وهذا أعظم ما يطلبه الإنسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

الكبير يعلم أكثر من الصغير. وكل يحب ذاته أكثر من سواه. لذلك، إن كنت تدين الآخرين قاصداً لهم الخير ردّه أولاً لذاتك. إثم من أعظم وأوضح؟ فإذا كنت لا تكترث لنفسك، فمن الأكيد أنك لا تدينُ أخاك حباً بإصلاحه بل بغضاً وتهجماً عليه، فإن كان مستوجباً الحكم فليدنه ذلك البريء من كل إثم، لا أنت! لأن المسيح قدّم لنا قوانين الحياة العظيمة السامية وحتى لا يقول أحد ان النطق بالحكمة أمر سهل جداً قدّم لنا هذا المثل برهاناً على عظيم سلطته التي قدر أن يقدّمها عن ذاته بأنه الوحيد الذي لم يخطئ ولم يتعدَّ واحداً من القوانين التي وضعها بل تمّمها كلها، ولكنه اضطر في الوقت الأخير أن يحاكم ويقول: الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون (متى٢٣:٢٥) فهو المنزّه تماماً عن الشر الذي يدين به الآخرين، إذ لا قذى ولا خشبة في عينه. إنه البريء من هذه وتلك، وهكذا أصلح خطايا البشر كلهم. انه قال لا يجوز للمرء أن يدين غيره وهو تحت وطأة الجرم نفسه. فلا تعجب من هذا القانون. ان اللص وهو على الصليب أوضح فكر يسوع المسيح بقوله إلى رفيقه اللص الآخر زاجراً: أما تخشى الله وأنت تحت هذا الحكم بعينه؟ (لوقا ٢٣: ٤٠).